Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

الْحبُّ الإلهي وَعلاقتهُ بِالسَّيرِ وَالسُّلوكِ الصُّوفيّ

م.د حُسين رسن عبدُالحُسينِ الّلاميّ
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب ، بغداد، العراق
الكاتب المسؤول: husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

فِيْ هذَا الّبحثِ سَنتناولُ وَنُوضحُ طَبيعةَ الّعلاقةِ الّمُتبادلةِ وتأثيرها فيمَا بينَ الّحُبِّ وَالّعشقِ الإلهي وَبَينَ السَّيرِ وَالسُّلوكِ عِنْدَ الصُّوفيّةِ ، إِذْ سَنبحثُ أوّلًا فِي الْحُبِّ الإلهي وَبدَايته عَنِ الإنْسَانِ الْقَديمِ ، إِذْ ترسخَ فِيْ دَاْخلهِ مَفهومُ الْخَوفِ بدلًا مِنَ الْحُبِّ الإلهي ، وَبعدهَا تَحولَ ذلكَ الْخَوف إِلَى مَحبةٍ وَعشقٍ عِنْدَ الصُّوفيّ عِبْرَ مَعرفتهِ بِاللهِ ، إِذْ يَرَى الصّوفيُّ أَنَّهُ كُلّمَا زَادتْ مَعرفتهُ بِاللهِ زَادَ تَعشقهُ وَمَحبتهُ لَهُ ، وَ تَتجسدُ هذهِ الْمَحبةُ وَهَذهِ الرِّحلةُ عِبرَ رِحلةٍ أخلاقيّةٍ وَعباديّةٍ وَمعرفيّةٍ عندَ الصّوفيّ تُسمَى بِالأَسفَارِ الأربعةِ ، وَبَعدَ هَذهِ الدِّراسةِ استخلصنَا مَجموعةً مِنَ النَّتائجِ كَانَتْ خُلاصةً لذلكَ الْجُهدِ .

الكلمات المفتاحية: الْحُبُّ الإلهي ـــ السَّيرُ وَالسُّلوكُ ـــ الصُّوفيُّ ـــ العَارِفُ ـــ السَّالكُ

تأريخ الاستلام: ٢٢-١٢-٢٠٢٥ تأريخ القبول: ٨-٢-٢٠٢٦ تأريخ النشر: ١-٦-٢٠٢٦

Divine Love and its Relationship with the Sufi Path (Sair wa Suluk)

Lecturer Dr. Hussein Rasan Abdul-Hussein Al-Lami
Mustansiriyah University, College of Arts, Baghdad, Iraq
Corresponding author : husseinraassn@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

This research examines and elucidates the reciprocal relationship between Divine Love and the methodology of Spiritual Wayfaring (Al-Sayr wa al-Suluk) within the Sufi tradition. The study begins by investigating the historical origins of the divine bond in ancient human thought، where "fear" was the primary mediator. It then traces the ontological shift where this fear evolves into profound love and "Ishq" (passionate longing) through the attainment of Divine Cognition (Ma'rifa).

The Sufi perspective posits that love is an epistemological consequence: as the seeker's knowledge of the Divine deepens، their love intensifies. This spiritual dynamic is structurally manifested through the ethical and cognitive framework known as the "Four Journeys" (Al-Asfar al-Arba'a). The study concludes with a synthesis of findings that underscore how love serves as both the catalyst and the ultimate destination of the spiritual path.

Keywords: Divine Love (Al-Hubb al-Ilahi) -Spiritual Wayfaring (Al-Sayr wa al-Suluk) -The Sufi -The Gnostic (Al-Arif) -The Wayfarer (Al-Salik).

Received: 22-12-2025 Accepted: 8-2-2026 Published: 1-6-2026

تمهيد :

شكلت العلاقة فيما بين الحب الإلهي والسير والسلوك عند الصوفية علاقة وطيدة ومتينة، لا يمكن انفكاك الواحدة عنِ الثانية ، إذ لا عشق إلهي دون سير وسلوك ، ولا سير وسلوك بدون حب لله وعشق له ، إذ يرى

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

الصوفية أنّ من عشق الله عمل جاهدا على تجسيد عشقه في جوانب حياته وسلوكياته أجمع ، فالإنسان المحب لله يعمل على طاعته سائرا على النهج الذي أمر باتباعه ، وهو النهج القرآني ، فيلتزم ويأتمر بالأوامر والنواهي الإلهية التي سنها في كتابه الكريم في سلوكه وفي سائر مفاصل حياته ، سائرا في طريق عبادته وطاعته والتخلق بأخلاقه ، وهذه هي الطاعة العملية للحب الإلهي والدليل الحقيقي لتلك المحبة ، والصوفي يجسد تلك المحبة عبر برنامج عملي وروحي يسميه بالسير والسلوك الى الله ، إذ يكون على صورة خطوات مرتبة منَ السلوكيات والعبادات التي ينتقل فيها الصوفي من مرحلة إلى أخرى أو من سفر إلى سفر آخر ، فتبدأ خطوات الصوفي بمجاهدة نفسه ، والتغلب عليها منَ الأهواء والشهوات وتهذيبها ، وإخضاعها لأوامر الشرع ، لأن الصوفية يرون أن النفس أمارة بالسوء مالم تهذب ، إذ إنّهم ــ أيّ الصوفية ــ قد اتفقوا على أهمية المجاهدة والتغلب على النفس ، فأوّل خطوة للسالك هو السيطرة على النفس الأمارة وهي العدو الأوّل الذي سيلقاه السالك إلى الله في هذه المسيرة ، وهذا العدو لا يمكن صرعه عبر القوة الجسدية بل عن طريق قوة الحب والحضور الإلهي في قلبه ، فلا سير وسلوك دون الحب والعشق الإلهي ، وهذا السير والسلوك هو أساس وتعبير عملي عن الحب الصوفي لله ، ولهذا يبذل الصوفي همته وجهده لبلوغ المقصد النهائي ، بجده واجتهاده ، بمجاهدته ورياضة نفسه ، إذ إنّ السالك يعمل بسيره وسلوكه عبر العبادة بعملية انصهار وذوبان واتحاد وفناء بينه وبين ربه.

المقصد الأول : الحب الإلهي عند الصوفية

المطلب الأول : الحب الإلهي وجذور التكوين

رؤيتان قديمتان للعلاقة بين الإنسان وربه ، الأولى رؤية قائمة على الخوف من الله ، والثانية قائمة على الاتصال والحب الإلهي ، إلا أنه تم ترسيخ مفهوم الخوف عند الناس بدلا من الحب الإلهي ، الذي هو مصدر الرحمة والحب المطلق ، وهو القائل على نفسه " وَرَحمتِي وَسعتْ كُلَّ شَيءٍ" فكل شيء في الكون يعكس الرحمة والحب الإلهي ، فكل شيء يسقط عليه أنظارنا ففيه موعظة وآية من ربك تدل على رحمته وحبه لنا ، فكل ما في الكون إلا مظاهر للأسماء والصفات الإلهية ولهذا "يتأول المتصوفة رغبة الله في معرفة خلقه له بأنها سبب في خلق العالم" (جوفروا، ٢٠١٨: ص١٣).

يرى الصوفي أنه كيف يعيش بالحب الإلهي بدلا من الخوف ، مبتدأ من تغيير منظوره عن الله، ولهذا يبدأ بالسؤال كيف يمكنني الشعور بحب الله بدلا من أسأل كيف سيعاقبني الله، ولهذا ينظر إلى كل تفاصيل حياته من لحظات الألم إلى لحظات السعادة واللذة ، فيتحدث إلى الله بالساعات وبالأماكن كلها ، ويتحدث معه دون اللغات المنمقة بل بلغته وكأنه يتحدث مع أقرب أصدقائه وأحبائه ، وينظر إلى نفسه بعين الله التي يريد أن يراه في الأماكن التي يحب أن يراه فيها لأن "المحبة فقه قلبي وحركة قلبية وشوق إلى الله عز وجل ينبئ عمّا في ضمير المقبل عليه تعالى من تطلعات ليحظى عند الله عز وجل بالزُلفى" (ياسين، ٢٠١٨: ص٦٠)

فالله ينظر إلى جوهرك قبل أن ينظر إلى أعمالك ، فعندما تحب الله فأنت ستعيش في الجنة الآن وهنا ، وليست الجنة المكان الذي يكون بعد الموت فقط ، فالجنة حالة طمأنينة ووعي والانسجام مع الله، والخوف يخلق جحيما في داخلك ويجعلك سجينا بالقلق ويعزلك عن النور فيعيش الإنسان في صراع مع الحياة ، فالله لم يخلقنا للخوف بل خلقنا لحبه ومعرفته وهذا الطريق لا يعرف بالخوف بل بالنور والحب الإلهي الذي يطهرك ويزكيك ويرقيك لأعلى درجات الكمال والمعرفة ، فتستشعر الجنة بداخلك فالله "هو مصدر كلّ العشق، كما هو مصدر كلّ الأشياء" (تشيتك، ٢٠١٧: ص٢٧١)

يعد العارف الصوفي أن المحبة الإلهية هي النبع الذي تتفجر منه كل محبة أخرى ، وهي امتداد للرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء ، فعلاقة الإنسان بربه وحبه له ، فهو يدخل في علاقة عميقة وحية تعمل على تبديل داخله قبل مظهره الخارجي ، فهي تصفي النفس وتهذبها من كدر الأهواء ، وتجعلها ترى الأشياء وما حولها بنظرة وعيون يغمرها النور والرأفة ، فقلب المحب ذائب في ذكر الله وفي قربه يجد أمنا لا يمنحه ولا يعطيه بشر إذ أصبح قلبه مشدودا إلى مصدره الأول وإلى نوره الذي منه وإليه يعود ، فلا دنيا تغريه ، ولا يستفزه غضب ، ولا يكسره حزن ، فيرى أن كل شيء منه ، ويده موجودة في كل شيء ، فيكون مصداق ذلك قول أمير المؤمنين علـيّ "عليه السّلام" " عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ " (الشريف الرضي، ٢٠٢٣: ص٣٣١). فأصبحت المحبة مقام تسكنه روح العارف الصوفي وليست كلمات تقال ، فتجد روحه الطريق إلى

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

السلام والاطمئنان الذي لا ينقطع " فتؤدي محبة الله دورا مقدسا في حياة الفرد عموما ، وفي حياة سالك طريق التصوف خصوصا " (منصور، ٢٠٠٧: ص١٩٠).

فالارتباط الروحي للعارف الصوفي بالله بالحب والعشق الإلهي ، إذ يصبح الله هو محور وهدفا له ، فإنّ الحب يبدأ من الله ويعود إليه كما قال الحق في محكم كتابه وجليل خطابه " يحبهم ويحبونه " فجعل الصوفي منَ العشق والحب الإلهي طريقا إلى الله ، فكانت عبادته برجوع قلبه إلى مبدئها ، وحركة روحه نحو أصلها ، وبمجاهدة نفسه إلى كمالها ، فأصبحت مرآة صافية تعكس نور الله " ومن محبة الله أحب الصوفية كل شيء لأن الأشياء أثار المحبوب ومجاليه ، بل عدوا محبة الخلق قنطرة يعبر عليها السالك إلى محبة الله " (عفيفي، ٢٠١٧: ص٢٤٩).

فكل الأشياء تعكس لنا الحب الإلهي ، فكل الكون والوجود يعكس لنا ذلك ، من الماء والهواء والشمس وغيرهن ، فكلهن دون مقابل ، بل هي رحمة ومحبة إلهية ترعانا وباستمرار، فلا يرى الصوفي بالخوف قائدا ودليلا إلى معرفته ؛ فالله هو الرحمة ذاتها وليس رحيما فحسب ، وهو المحبة ذاتها وكل صور الحب تتدفق عن طريقه فالمحبة " حالة شريفة . شهد الحق ، سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد ، فالحق : سبحانه يوصف بأنه يحب العبد ، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه " ولذا لا يكون الخوف وسيلة إلى الوصول إليه ، بل بعشقه ومحبته.

فهذه رحلة الإنسان العارف الصوفي من التخبط إلى النقاء ، من العبودية للنفس والأهواء والرغبات إلى الحرية الروحية التي تصل إلى الاصطفاء والتكليف بخلافة الإنسان للنور والحكمة الإلهية في الأرض فهذه " دائرة الوجود ، أولها حب وافتراق ، وآخرها حب وتلاق . ومحور الدائرة هو الحق ، ومحيطها مالا يحصى عده من مجالي الوجود . الكل يخرج من المركز والكل يعود إليه " (عفيفي، ٢٠١٧: ص٢٤٩).

المطلب الثاني: المعرفة والحب الإلهي

يرى الصوفية أنه كلما ازدادت معرفتهم بالله، ازدادت محبتهم له ، أي كلما ازداد قلب السالك معرفة بالله ازداد ثباتا ورسوخا في عشقه ومحبته ، فالمعرفة تأتي أوّلًا ، فتعكس تلك المعرفة على القلب بالمحبة ، ثم تتحول تلك المحبة مترجمة ذلك بالطاعة والسلوك الصالح ، لهذا نجد في أحاديث الأئمة "عليهم السلام" : (مَنْ عَرِفَ الله أَحَبّهُ ، وَمَنْ أَحَبّهُ أَطَاْعَهُ) فتصبح محبة الله ليست مجرد تكليف بل حاجة وجودية منسجمة مع فطرته التي تبحث عن كمالها المطلق " إذ كيف نحب الله من دون معرفته؟ وكيف تمكن معرفته دون محبته؟ " (جوفروا، ٢٠١٨: ص١٣).

إن الصوفي الذي ارتشف من كأس المحبة قد مر عبر وادي المعرفة ، إذ إن المرتشف لذلك الكأس لابد أن يتمتع بكأس المعرفة بمحبوبه وصفاته ، لأنه لا تعلق بمحبة لمجهول مطلق ، إذ إن هناك من ظفر بالحقيقة وقد تعلقت قلوبهم بها فتحولت المحبة " من المعنى البدائي إلى مفهوم يشغل العلماء والفلاسفة والأدباء ، الذين شرعوا يتوغلون في تعمق مفهوم الحب ، ويتنافسون لتقديم الأبلغ والتفسير الأدق " (الشقاق، ٢٠٠٩: ص٢٣).

إن الصوفي السالك للحق تعالى لا يطلب الخروقات والكرامات والتجليات ، بل يطلب معرفة وجه الله تعالى ، فالنفس الإنسانية عند الصوفي عندما تتنزه عن كدر الماديات وشغلت وزرعت فيها بذور المعرفة وشددت عليها بالمراقبة والمحاسبة فستتمثل فيها الصور الملكوتية فتعكس لها المرايا ووجه الحقيقة " لكن أكثر العقول قد تكدرت بدخولها في عالم الطبيعة ، ومنازعتها جنود الوهم والغضب والشهوة ، فأضحت قاصرة عن إدراك دقائق مكائد جند الشيطان وسبيل التغلب عليهم " (النجفي، ٢٠٠١: ص١٤٣).

إن الحب الإلهي عند الصوفية مشروط بالقيم الأخلاقية ، إذ يرون أن القرآن يربط بالأخلاق والعقيدة فيجعلها ميزان قبول الأعمال ، فهذه ليست مجرد سلوكيات عابرة ، بل هو طريق إلى الله ومعرفته ، إذ يقول الله في محكم كتابه وفي آيات عديدة منه " إِنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُتقينَ ، إِنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُقسطينَ ، إِنَّ اللهَ يُحبُ الْمُحسنينَ " (القران الكريم، ٢٠١٣: ص١٨٧، ١١٥، ٣٠) وَالكثير منها، ولهذا يرى الصوفية أن " التحصيل الحقيقي للعلم لا يعني مجرد تخزين المعلومات في الذهن ، بل أن يتطهر به قلب المرء ، وينضج وجدانه وأخلاقه عندها سيكون العلم نعمة له في دنياه وعاقبة أمره يبلغ به مراقي الكمال والسعادة الأبدية" (قريب الله، ٢٠٠٣: ص٨٢).

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

إن التصوف والعرفان منهج يبدأ من الداخل بمجاهدة النفس ، بتصفيتها وضبطها ، فلا سير إلى الله مع وجود أخلاقيات وأفكار وعقائد فاسدة ، إذ إن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون ضمن دائرة الحب الإلهي والله هو مصدر الطيبات وكل الكمالات المطلقة وهو يقول في كتابه الكريم " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" فالّذين "يضلون سبيل بلوغ العشق الإلهي يتجهون إلى الوسائل البديلة والعشق المزيف ، كعشق الجاه والمقام وحب المال والماديات والنزعة للتفاخر والتكبر والغرور والنخوة وأشباه ذلك" (الهاشمي، ٢٠٠٥: ص١٨١).

إن الأخلاق القرآنية عند الصوفي تبدأ من داخل نفسه بتزكية وجهاد نفسه ، فهي ليست فرعا ثانويا عنده ، بل هي الغاية التي يكتمل الإيمان والدين عنده ، فتنعكس هذه الأخلاق على الخارج في معاملته مع الناس ، فيكون صادقا عادلا رحيما صابرا عفيفا شجاعا أمينا متواضعا ، إذ يرى أن تلك الصفات الأخلاقية ليست تجميلا له وللإنسان ، بل إنّ تلك الأخلاق هي هوية المسلم القرآنية ولذا " فإنّ الإنسان الذي يؤمن باللّه _عز وجل_ إيمانا كاملا صافيا من جميع الشوائب يكون هادئ النفس ومطمئن القلب " (حنظل، ٢٠٢٥: ص٣٢٧).

إذا تزكية النفس وتطهيرها هي اللبنة الأولى في تكامل الإنسان وإيمانه ، وهذا ما نلحظه عبر حث الله في قرآنه الكريم وفي آيات عديدة على تنقية النفس وتطهيرها ، فالقوي قوي النفس حتى يسير بها في طريق نضوجها وتكاملها ، إذ إنها " شرط من شروط الواقعية ، ومن دونها لا يتحقق سلوك عند الصوفي ولا يوجد ، فهي من معدات وجوده وشروط تحققه ، والشرط سابق على المشروط بطبعه " (حمية، ٢٠٠٤: ص٥٣٢) وهذه هي المقدمة الأولى والشرط الأول لدى الصوفي للمعرفة والوصول إلى الله في سيره وسلوكه إليه.

المقصد الثاني: السير والسلوك عند الصوفي

المطلب الأوّل: بداية معرفية للسير والسلوك الصوفي

لكل علم من العلوم مفاهيمه الخاصة به ، وللتصوف الإسلامي مفاهيمه الخاصة به أيضا، ومن تلك المفاهيم ، مفهوم السير والسلوك ، إذ يعد ذلك المفهوم من أهم المفاهيم لدى الصوفية وأكبرها ، فمفهوم السير يعني التوجه والسير إلى الله بمعرفته ، وأما السلوك فهو الالتزام بالسلوك الصالح ، أي سلوك الصوفي بتهذيب نفسه بالمجاهدات والرياضات لأن الكشوفات والذوقيات " لن تكتسب من غير تهيئة مسبقة يحصلها المتصوف عبر تقويم الأخلاق وتطهير السرائر وجهاد مرير للنفس " (سويري، ٢٠١٦: ص٢١)

فالإنسان عموما والصوفي على وجه التحديد لديه قوة واستعداد خفي في أعماقه يدفعه إلى الله محاولا ومستمرا للوصول إلى أعلى المنازل والدرجات لتلك المعرفة الإلهية ، ولهذا يبغي الصوفي العارف أن يصل إلى مرتبة الإنسان الكامل ، وهي مرتبة الكمال الإنساني بأعلى صورها ، إذ إن الإنسان يصبح مرآة صافية لحضرة الحق تعالى ، جامعة بين عالم الملكوت وعالم الناسوت ، وبين الحقائق الشهودية والحقائق الغيبية ، فالإنسان الكامل هو الكون الصغير الذي يحوي كل صور الكون الكبير، اذ ان ما في العالم من معان واسرار تجدها منعكسة في كيانه فالتصوف "كله راجع الى مجاهدة وسلوك يفيضان ببلوغ الغاية فيهما الى كشف ومشاهدة " (جودة، ٢٠٠٦: ص١٢٢).

للسير والسلوك مراحل متعددة يعمل الصوفي على تخطيها ، إذ إن تلك المراحل المتعددة يعمل الصوفي على طيها من أجل أن يحقق الصوفي الاتحاد باللّه إذ إن " الغاية منَ السير والسلوك لدى العارف السالك هو الوصول إلى طريق نهايته الوصول إلى الحق ملك الملوك ـــ وأنّ إلى ربّك المنتهى ـــ " (عبد الحسين، ٢٠٢٤: ص١٣٩)، فهناك أنواع مختلفة منَ السير والسلوك عند الصوفية ، إذ إن هناك سير وسلوك ظاهري خارجي ، وسير وسلوك باطني داخلي، فالسير والسلوك الظاهري الخارجي يعنى بالعبادات الظاهرية للإنسان من شعائر وفرائض كالصلاة والصيام وما إلى ذلك ، أما السير والسلوك الباطني الداخلي فهو عملية الالتزام الروحي الداخلي الذي لا يظهر للعيان ، فلا يقتصر السير والسلوك على جانب أو اتجاه واحد بل هو يسير باتجاهين ، هما اتجاه ظاهري خارجي واتجاه باطني داخلي.

يرى الصوفية أن العلاقة بين السالك وربه فيها أسرار لا ينبغي أن يطلع عليها الآخرون ، وأن يخفيه عنِ الأنظار ، فكل الأحوال التي تحصل للسالك والمطالب المجهولة وانكشاف بعض المسائل المجهولة والغيبيات وتجليات الأسماء والصفات الإلهية التي تحصل له كلها تبقى مخفية ومكتومة السر حتى لا يسلب منه كل هذا التوفيق ، إذ إن الإشهار والإعلان والرياء عند الصوفية هي إحدى الأسباب لسلب التوفيق عندهم ، ولهذا

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

يوصون بعدم الحديث لأحد عن ما يشاهده من خروقات وكرامات وتوفيقات ، لأنه قد لا يوفق لهذا بعد ذلك ، لأن هذه الأخلاقيات السيئة هي " التي تقف في طريق تنوره الروحي ومعرفة حقيقته ووحدته مع الذات الإلهية " (جاسم، ٢٠١٦: ص٨).

إن في طريق السير والسلوك للسالكين الصوفية ، قد يفتح الله قلبه بإلهام أو كشف ، وهنا يكون الامتحان فهل هذا الكشف والإلهام هو نور منَ الحق أم تلبيسا شيطانيا ، ولهذا يجب التمييز بين الحق والوهم ولا يستدرج السالك إلى شباك الغرور والشيطان أو فتنة النفس ، ولهذا على السالك أن يرسم طريق السلامة في الصدق والمراقبة والمحاسبة لأنّ " اتباع طريق السير والسلوك ضمن قواعده وقوانينه الخاصة يجعل العارف في أمان من الوقوع في الخطأ والانحراف في الحقائق التي يصل إليها " (بناه، ٢٠١٦: ص٨٤-٨٥).

إذا بالسير والسلوك بالمجاهدة والإخلاص يسعى الصوفي إلى رحلة نحو الكمال والصفاء الروحي برحلة باطنية تقوده إلى ارتقاء سلم التدرج الروحي ، فيسلك بسلوكه إلى استخدام الطرق والأساليب التي تؤدي به إلى تحقيق التزكية والصفاء والسمو والغنى الروحي والأخلاقي ، وهذه الطرق والأساليب هي " مجموعة الدساتير العملية التي يطويها السالك منزلة بعد أخرى " (السيساوي، ١٤٤٣هـ: ص٤١).

يرى العارف الصوفي أنّه كلما توغل السالك أكثر انكشفت له الحقيقة بصورة أكثر وأوضح ، إذ لا يبقى شيء في الوجود سوى الله الواحد الأحد بلا مظهر ولا مرآة بلا واسطة ولا كثرة ، إذ لا وصول إلا بقطع الحجب الظلمانية والنورانية ، ففيها تحطم وتسحق آنيته ، إذ لا يرى وجودًا لنفسه مقابل وجود الحق تعالى ، لأنهم يرون أن القلب كلما كان في قمة التوحيد كان سلوك الصوفي صحيا ومستقيما، فقوة قلب السالك تأتي من معرفته بالله، وهذه القوة تعطيه الطمأنينة والسكينة ، ففي دعاء عرفة المنسوب للإمام الحسين "عليه السّلام " مَاْذَاْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ، وَمَاْذَاْ فَقَدَ مَنْ وَجدكَ " (القمي، ٢٠٢١: ص٢٨٨) وبهذا يتحرر الصوفي من قيود نفسه ، ويصبح مستعدا للحكمة الإلهية ، سائرا بنفسه من التخبط إلى النقاء ، ومن عبوديتها للأهواء إلى حريتها الروحية ، ومن اللامبالاة إلى تحمل الأمانة.

المطلب الثاني: سير الصوفي وسلوكه في أسفاره الأربعة

يقصد العارف الصوفي السالك في سيره إلى الله سفرة روحية وليست سفرة مادية ، وهي رحلة باطنية قلبية ، يهدف فيها الصوفي إلى التحرر من أغلال النفس والهوى وقيودهما ، وكذلك إلى الاتصال بالحق تعالى ، وهذا السير والسلوك المتجه نحو الحق يسير بأربع مراحل نقسمها بالصورة الآتية : فالسفر الأول هو السفر منَ الخلق إلى الحق ، فتبدأ المسيرة في التخلي عنِ الصفات المذمومة والقبيحة والسيئة ، والتوبة منَ الذنوب ، والطهارة منَ الكلام والأفكار القبيحة والصفات المذمومة ،أي فيها تتم المجاهدة والرياضة والمحاسبة والمراقبة ، وهي بداية الانفصال عن كل التعلقات النفسية والدنيوية ، متوجها إلى الله بالإخلاص تاركا فيها عن الاعتماد على الأسباب "فكيف يكون عارفا إلهيا ، وعالما ربانيا من كان ديدنه وعادته الاشتغال باللذات والشهوات والاقتراف للسيئات ، والمزاولة لسائر الحجب الظلمانية الساترة لوجه القلب عن شهوات الحقائق الربانية وشروق المعارف الإلهية " (الشيرازي، ٢٠٠٤: ص٦٥)، فإذا هذه الخطوة في السير والسلوك لدى الصوفي هي الالتزام بالشرع والمراقبة في اللسان والعمل ، وهذه الخطوة خطوة مهمة وأساسية ، كالعلوم الأخرى التي تبدأ بخطوات مهمة وأساسية لتسير بعد ذلك بخطوات أخرى ليكتمل فيها بناء تلك العلوم .

وأما السفر الثاني ، فهو سفر الصوفي السالك من الحق إلى الحق ، وفيه يعيش السالك بالقرب الإلهي بعد أن يعيش بالفناء بالله ، إذ يفنى السالك عن إرادته وشهوته ، باقيا في إرادة الله فيه ، قد شهد توحيد الصفات والأفعال ، فعبر سير الصوفي وسلوكه بمقتضيات الطريقة يصل " إلى منزلة الحقيقة وأن يشاهد التوحيد في عمق عالم الوجود" (بناه، ٢٠١٦: ص٨٤-٨٥).

وأما السفر الثالث ، فهو سفر الصوفي السالك منَ الحق إلى الخلق ، إذ يعود السالك بعد معرفته بالله إلى الخلق ببصيرة وهمة عالية ، فيكون فيها السالك رحمة للناس مربيا ومرشدا إذ يقول فيها السالكون أننا رجعنا منَ الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس إلى الجهاد الأصغر وإلى خدمة الناس " فالغاية التي يسعى إليها الكاملون منَ الناس كالأنبياء هي عبارة عن عملية السير بالفرد والمجتمع في طريق الكمال " (الاملي، ٢٠٠٩، ص٨).

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

وأما السفر الرابع للصوفي السالك ، وهو السفر الأخير ، فهو السفر من الخلق بالحق إذ يرى العارف السالك كل شيء بالله وفي الله ومن الله ، أي أنه يعيش في الدنيا ولكنه يعيش وهو من أهل الآخرة فيصل إلى أنه يعبد الله وكأنه يراه ، وهو مقام الإحسان ، فهذا السفر رحلة روحية وليس علما نظريا وإنما ذوق وشهود وسلوك عملي تبدأ بالتحلية فالتخلية فالفناء ثم البقاء ، قد بدأت رحلته بمجاهدة النفس منتهيا بمعرفة الله والشهود في حضرته ، فمن " أثار السلوك وفيوضاته ، فمما يراه السالك عيانا ، ومن جملة آثاره حصول الأنوار في القلب " (النجفي، ٢٠٠١: ص١٤٣).

وعبر تلك المسيرة الصوفية في الأسفار الأربعة ، يتحرر الصوفي من عبودية نفسه وإرادتها بالكامل مهاجرا إلى مقام البقاء بالله ، مترقيا بين المقامات ، من مقام أدنى إلى مقام أعلى ، فلا تكون له إرادة مستقلة عنِ الله، وبعد تلك الرحلة الروحية تتبدل المقاييس لدى السالك ، فكل شيء كبيرا وعظيما سيصبح باهتا صغيرا ، ليس بالحجم ، بل بالقيمة الوجودية وذلك امام نور الحق تعالى فلا يرى شيء مستقلا سواه.

اذا الاسفار تعتبر من اهم المفاهيم في التصوف الاسلامي وهي عبارة عن مراحل روحية لدى السالك الصوفي في طريق التربية الروحية في تهذيبها ومجاهدتها ، فهي سفرة روحية من ظلمات النفس وجهلها وغفلتها الى نورها ومعرفتها ويقظتها في ذلك العالم.

الخاتمة والنتائج :

في هذه الدراسة والبحث ، وعبر ما مر بنا فإن هناك علاقة مترابطة وقوية ولا يمكن انفكاك الواحدة عنِ الأخرى ، بين الحب الإلهي وبين السير والسلوك عند الصوفية ، إذ إننا قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج خلال تلك الدراسة قد تم استخلاصها في عدة نقاط وهي كالتالي:

١ـــ هناك علاقة قوية ومترابطة وغير منفكة بين الحب الإلهي وبين السير والسلوك الصوفي ، إذ إنه بدون الحب الإلهي لا يكون هناك سير وسلوك إلى الحق تعالى، و لا جدوى من هذا الجهد والمسيرة دون أن يجد عشق المحبوب في قلب العاشق .

٢ ـــ الأسفار الأربعة هي سفرة روحية وليست سفرة مادية للسالك الصوفي ، وهي عملية تربية روحية ومعرفية .

٣ ــ هناك أربع مراحل يطويها الصوفي في سيره وسلوكه إلى الحق تعالى وهذه المراحل تسمى بالأسفار إذ يقوم الصوفي بطي مرحلة بعد مرحلة وعلى صورة تراتبية ولكل مرحلة لها تسمية خاصة بها.

٤ـــ المعرفة والأخلاق من أهم العوامل المؤثرة عند الصوفي بالمحبة الإلهية فبدونها لا يكون هناك أي قرب ومحبة إلهية ، فهما يتكاملان بنحو لصيق .

٥ـــ الجد والاجتهاد في جهاد النفس والعمل بالواجبات وترك المحرمات بالمراقبة والمحاسبة ، ستعمل على حصول السالك على نتائج تسهل على الصوفي طي مراحل السير والسلوك.

٦ـــ السلوك العبادي والأخلاقي الصحيح الذي يتبع ويمتثل للشرع والتخلق بأخلاق القرآن والسنة النبوية هي ترجمة حقيقية للحب الصوفي للإله فتنعكس سلوكياته وتصرفاته وسيرته في حياته فبالحب الإلهي يبتعد الصوفي عن المحرمات وهو السبب الأساسي في ترك المعاصي.

٧ـــ الحب الإلهي يعد عنصرا مهما في السير والسلوك عند الصوفية ، بل هو الركيزة الأساسية في تلك المسيرة والمنهل الأساس في هذه الرحلة العظيمة.

الـ عربـ ـية الـمراجع

أبو العلا عفيفي. (٢٠١٧: ص٢٤٩). *التصوف الثورة الروحية في الإسلام* (المجلد الأول). القاهرة: أقلام عربية للنشر والتوزيع.

السيد الشريف الرضي. (٢٠٢٣: ص٣٣١). *نهج البلاغة ج١-٤* (المجلد الأول). (شرح: الشيخ محمد عبده، المحرر) بيروت: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع.

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 50, No. 114, PP.1-9
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٥٠، العدد ١١٤، ص ١-٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

القرآن الكريم. (٢٠١٣: ص١٨٧، ١١٥، ٣٠). *التوبة آية ٧- المائدة آية ٤٢- البقرة ١٩٥* (المجلد الأول). مؤسسة أمّ أبيها.

إيريك جوفروا. (٢٠١٨: ص١٣). *التصوف طريق الإسلام الجُوّانية* (المجلد الأول). (عبد الحق الزموري، المترجمون) الرباط- المملكة المغربية: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.

جمال الهاشمي. (٢٠٠٥: ص١٨١). *رسالة الإلهام بين مدرسة جلال الدين الرومي وعلم النفس الحديث* (المجلد الأول). (عبد الرحيم المبارك، المترجمون) بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر.

حسن الفاتح قريب الله. (٢٠٠٣: ص٨٢). *في الزهد والتصوف*. بيروت: دار الجيل.

حسين رسن عبد الحسين. (٢٠٢٤: ص١٣٩). (حافظ محمد عباس، المحرر) *مجلة آداب المستنصرية*.

خالد السيساوي. (١٤٤٣هـ: ص٤١). *المدخل إلى العرفان الإسلامي* (المجلد الثاني). قم، الجمهورية الإسلامية في إيران: مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر.

خنجر علي حمية. (٢٠٠٤: ص٥٣٢). *العرفان الشيعي دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي* (المجلد الأول). (عبد الجبار الرفاعي، المحرر) بيروت: دار الهادي.

ساره سويري. (٢٠١٦: ص٢١). *الصوفية في الإسلام أنثولوجيا* (المجلد الأول). بغداد: منشورات الجمل.

سلمى قاسم حنظل. (٢٠٢٥: ص٣٢٧). السعادة في القرآن. *مجلة الفلسفة*.

صدر المتألهين الشيرازي. (٢٠٠٤: ص٦٥). *كسر أصنام الجاهلية في الرد على الصوفية* (المجلد الأول). (الشيخ حسين الطقش، المحرر) بيروت: معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية.

عباس القمي. (٢٠٢١: ص٢٨٨). *مفاتيح الجنان* (المجلد الأول). بيروت: دار الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

عبد الله الجوادي الآملي. (٢٠٠٩، ص٨). *الحماسة والعرفان*. بيروت-لبنان: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد تقي مصباح اليزدي. (بدون: ٣٢). *محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي*. (محمد عبد المنعم الخاقاني، المترجمون) بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات.

مريم ياسين. (٢٠١٨: ص٦٠). *التصوف السني دراسة في إحداثيات الإصلاح النفسي والاجتماعي والسياسي*. المغرب: مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية.

مهدي مرتضى الطباطبائي النجفي. (٢٠٠١: ص١٤٣). *رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم* (المجلد الأول). (تقديم: السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني، المحرر، و عبد الرحيم مبارك، المترجمون) بيروت: دار المحجة البيضاء.

موفق مهدي جاسم. (٢٠١٦: ص٨). *الطريقة الصوفية للسلام العالمي وحركة التوحيد الصوفية* (المجلد الأول). بيروت: دار روافد للطباعة والنشر والتوزيع.

ناجي حسين جودة. (٢٠٠٦: ص١٢٢). *المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة* (المجلد الأول). (عبد الجبار الرفاعي، المحرر) بيروت: دار الهادي.

ISSN:0258-1086

وليام تشيتك. (٢٠١٧: ص٢٧١). *الطريق إلى العشق الصوفي التعاليم الروحية عند جلال الدين الرومي* (المجلد الأول). (تقديم: حسن حنفي، المحرر، و شيماء ملا يوسف، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

يحيى محمد الشقاق. (٢٠٠٩: ص٢٣). *الحب في التصوف الإسلامي* (المجلد الأول). (الدكتور الشيخ محمد شقير، المحرر) بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

يد الله يزدان بناه. (٢٠١٦: ص٨٤-٨٥). *العرفان النظري مبادؤه وأصوله* (المجلد الثانية). (تدوين: عطاء انزلي، المحرر، و علي عباس الموسوي، المترجمون) بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

يعقوب أفرام منصور. (٢٠٠٧: ص١٩٠). *الموجز في التصوف المسيحي والزهدي وبعض أبرز أعلامه* (المجلد الاولى). بغداد: مطبعة الديوان.

المراجع بالإنكليزي

-Afifi، Abu al-Ala. Al-Tasawwuf: Al-Thawrah al-Ruhiyya fi al-Islam. Vol. 1. Cairo: Aqlam Arabiyya for Publishing and Distribution، 2017، p. 249.
-Al-Radi، al-Sayyid al-Sharif. Nahj al-Balagha. Commentary by Muhammad Abduh. Vol. 1. Beirut: Dar al-Qari for Printing، Publishing، and Distribution، 2023، pp. 4–7، 331.
-The Quran. Arabic text. Surat al-Tawbah (9):7; Surat al-Maidah (5):30; Surat al-Baqarah (2):42، 195.
-Geoffroy، Eric. Al-Tasawwuf: Tariq al-Islam al-Batin [Introduction to Sufism: The Inner Path of Islam]. Translated by Abd al-Haqq al-Zamzami. Vol. 1. Rabat: Muminun Bila Hudud for Publishing and Distribution، 2018، p. 13.
-Al-Hashimi، Jamal. Risalat al-Ilah bayna Madrasat Jalal al-Din al-Rumi wa Ilm al-Hadith. Translated by Abd al-Rahim al-Mubarak. Vol. 1. Beirut: Dar al-Hadi for Printing and Publishing، 2005، p. 181.
-Qarib Allah، Hasan al-Fatih. Al-Zuhd wa al-Tasawwuf. Beirut: Dar al-Jil، 2003، p. 82.
-Rasin، Husayn Abd al-Husayn. “Sad.” Edited by Hafiz Muhammad Abbas. Majallat al-Mustansiriyya، 2024.
-Al-Sayyawi، Khalid. Al-Madkhal ila al-Irfan al-Islami. Vol. 2. Qom: Al-Mustafa International Center for Translation and Publishing، Islamic Republic of Iran، 1443 AH، p. 41.
-Hamidah، Khandar Ali. Al-Irfan al-Shii: Dirasah fi al-Hayah al-Ruhiyyah wa al-Fikriyyah li Haydar al-Amili. Translated by Abd al-Jabbar al-Rifai. Vol. 1. Beirut: Dar al-Hadi، 2004، p. 532.
-Sweiry، Sarah. Al-Sufiyya fi al-Islam: Anthology. Vol. 1. Baghdad: Manshurat al-Jamal، 2016، p. 21.
-Hifal، Salma Qasim. “Al-Saadah fi al-Quran.” Journal of Philosophy، 2025، p. 327.

ISSN:0258-1086

-Al-Shirazi، Sadr al-Din al-Tailani. Kasr Asnam al-Jahiliyyah fi al-Radd ala al-Sufiyya. Edited by Shaykh Husayn al-Tafish. Vol. 1. Beirut: Maahad al-Maarif al-Hikmiyya for Religious and Philosophical Studies، 2004، p. 65.
-Al-Qumi، Abbas. Mafatih al-Jinan. Vol. 1. Beirut: Dar al-Hadara for the Development of Islamic Thought، 2021، p. 288.
-Al-Jawadi al-Amuli، Abd Allah. Al-Hamasa wa al-Irfan. Beirut: Al-Amira for Printing، Publishing، and Distribution، 2009، p. 8.
-Misbah Yazdi، Muhammad Taqi. Muhawalah li al-Bahth an al-Irfan al-Islami. Translated by Muhammad Abd al-Naim al-Khafani. Beirut: Dar al-Taaruf for Publications، n.d.، p. 32.
-Yasin، Maryam. Al-Tasawwuf al-Sunni: Dirasah fi Ihdath al-Islah al-Nafsi wa al-Ijtimai wa al-Siyasi. Morocco: Ibn Ghazi Center for Research and Strategic Studies، 2018، p. 60.
-Al-Tabatabai al-Najafi، Mahdi Murtada. Risalat al-Sayr wa al-Suluk ila Rabb al-Ulum. Vol. 1. Beirut: Dar al-Mahajja al-Bayda، 2001، p. 143.
-Jasim، Muwaffaq Mahdi. Al-Tariqa al-Sufiyya lil-Islam al-Alami. Beirut: Dar al-Hadi، 2016، p. 8.
-Jasim، Muwaffaq Mahdi. Al-Tariqa al-Sufiyya lil-Islam al-Alami wa Harakat al-Tawhid al-Sufiyya. Vol. 1. Beirut: Dar Rawafid for Printing، Publishing، and Distribution، 2016، p. 8.
-Judah، Naji Husayn. Al-Maarifah al-Sufiyya: A Philosophical Study of the Problematics of Knowledge. Vol. 1. Edited by Abd al-Jabbar al-Rifai. Beirut: Dar al-Hadi، 2006، p. 122.
-Schnick، William. Al-Tariq ila al-Ishq al-Sufi: Al-Taalim al-Ruhiyya inda Jalal al-Din al-Rumi. Vol. 1. Introduction by Hasan Hanafi. Translated by Shimaa Mulla Yusuf. Cairo: Ruya for Publishing and Distribution، 2017، p. 271.
-Al-Shafaq، Yahya Muhammad. Al-Hubb fi al-Tasawwuf al-Islami. Vol. 1. Edited by Dr. Muhammad Shafiq. Beirut: Dar al-Hadi for Printing، Publishing، and Distribution، 2009، p. 23.
-Banah، Abd Allah Yazdan. Al-Irfan al-Nazari: Mabadiuhu wa Usuluhu. Vol. 2. Edited by Ata Anzali and Ali Abbas al-Mousawi. Beirut: Markaz al-Hadara li Tanmiyat al-Fikr al-Islami، 2016، pp. 84–85.
-Mansur، Yaqoub Afram. Al-Mujaz fi al-Tasawwuf al-Masihi wa al-Zuhd wa Baad Abriz Alamihi. Vol. 1. Baghdad: Matbaat al-Diwan، 2007، p. 190.